مصر تنتقم من وزير

للاستاذ عطية الشيخ

نشأة الطبائع :

الناس معادن وفصائل ، منهم الأخيار والأشرار ، ومهما تقدم العقل البشري وامتدت المدنية ، وزاد الرخاء ، وتنادى الناس بالإخاء ، فإنك لا تزال تلمس في هذا المجتمع الراقي فصائل من البشر لا يميزهم عن إنسان الغاب إلا طراز الأزياء، وتقاليد سطحية ، ليس لها في أعماق نفوسهم أثر وهل تعي البيغاء مما تقول شيئاً ؟ وهل يعني النسناس مما يؤدي من الحركات أمراً؟ ففي فجر التاريخ تميز خيار الناس من شرارهم في محاورة قابيل وهابيل ابني آدم ، حين هم الأول بقتل الثاني ، فلم يزد هابيل على أن قال «لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين » فهل أثر هذا الموقف الكريم في النفس الشريرة . كلا بل طاوعت له نفسه قتل أخيه فقتله . ثم امتدت الحقب ، وتتابعت الأولاد والأحفاد ، وتوالت الأجيال ، وما زال في أبناء آدم قابيل وهابيل ، لم تختلف الأرواح وإن تغيرت الأسماء وها هي ذي الأمثال والحكم التي أجرتها الحوادث على لسان الأمم البائدة . يتمثل بها أبناء اليوم كأنها قيلت بالأمس القريب .

علم الدين سنجر الشجاعي :

مملوك من مماليك السلطان المنصور قلاوون ، اتسم بقلب حجري ، وبأس قوي ، وحب للشر ، وشهوة في الانتقام، ورغبة أكيدة في الكيد للناس ، لا يسلم من شره أقرب الخلق منه ، ولا أكثرهم إحساناً إليه ، تولى الإشراف في أيام سيده المنصور قلاوون على بناء البيمارستان ، فكان يتصيد الصناع والفعلة من أعلى سقالة بالبندق ، وإذا سقط أحدهم جثة هامدة لا يظهر عليه تغير ولا يتحرك من مكانه ولا يسأل عن أهله وذويه ، بل يأمر بالإسراع في دفنه حتى لا يتعطل العمل .

الى الشام :

ثقل على المصريين أمر الشجاعي ، وكان في الشام بقايا صليبيين ، فرأى الملك المنصور أن يرسله إلى دمشق ، علّه يجد متنفساً لشره وظلمه في أعداء الدولة إذ كان لا بد للأفعى من أن تنهش وللعقرب من أن تلدغ ، وقد صدق ظن الملك. ففي الشام وجد الشجاعي متسعاً للأذى في غير المسلمين حتى أحبه أهل دمشق .

السلطان خليل :

مات المنصور قلاوون وتولى بعده الملك ابنه الأشرف خليل وكان كما يقول الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام « بطلاً شجاعاً مقداماً مهيباً عالي الهمة ، تخافه الملوك في أمصارها ، والوحوش في آجامها » فلم يكد يستقر في الملك حتى صمم على طرد الصليبيين من بلاد الشام جملة ، وكان أمنع حصن لهم « عكا » فجهز جيشاً جراراً وحاصرها ، وهناك قابله الشجاعي ، وأخذ يسمم أفكاره ضد من معه من الأمراء والوزراء (والشجعان دائماً أضعف فريسة للختل والمكر والدهاء) فنهض خليل على من معه من

ودليلنا على أن أفراد الجمهور المصري لا ينقصهم الإحساس الفني ، أنهم يقبلون على مشاهدة الروائع السينمائية الأجنبية ، وفيها القصص الدسمة والموضوعات العميقة ، وهم راضون عما يرون ، بل إنهم أصبحوا الآن ينصرفون عن كل رواية ضعيفة ولو اختفى ضعفها وراء الإخراج الرائع والتمثيل المتقن .

فيجب ، والحالة هذه ، أن نبث حب المسرح في النفوس ، وذلك باستلهام التاريخ الإسلامي في وضع المسرحيات ، وبجعل مادة التمثيل مادة أساسية في المدارس كما هي حال القصص الآن ، بالإكثار من وحدات المسرح الشعبي التي تجوب الأحياء والبلاد ولا لتعرض هذه التفاهات التي تقدمها ، وإنما لتعرض قطعا غنية جمعت بين المتعة والفن . ولا بأس من أن تعرض في كل مرة مسرحية فكاهية لاجتذاب الجمهور ، ثم تتلوها مسرحية جيدة تخاطب العاطفة الدينية أو القومية في النفوس ، ويتذوق فيها النظارة الفن الحقيق الرفيع .

محمود عباسي أحمد

تلميذ في الآداب

أمراء أبيه وقواده ولم ينتظر حتى تنتهي المركة « وحصل للناس قلق شديد ، وخشوا من حدوث فتنة تكون سبباً فى تنفيس الخناق عن أهل عكا المحصورين »

موت الوزير :

كان وزير الأشرف خليل هو محمد بن عثمان التنوخى الدمشقى ، وكان له صديق شاعر ، خاف عليه لؤم الشجاعى وكيده ، فأرسل إليه البيتين الآتيين يحذره منه .

تنبه يا وزير الأرض واعلم بأنك قد وطئت على الأفاعى
وكن بالله معتصما فإنى أخاف عليك من نهش الشجاعى

فهل أغناه التحذير كلا بل ذهب الوزير صريعاً بيد الشجاعى أمر قراموش فضربه ألفاً ومائة عصا حتى مات تحت التعذيب .

رقصه وسمه :

أخذ الشجاعى يترقى فى وظائف الدولة أيام السلطان خليل ، بدسه وسعيه ضد أكابر الدولة وزجهم فى السجون والمعتقلات ، حتى أنابه السلطان عنه فى السلطنة ، وأنزله قلعة الجبل حين ذهب للصيد فى مديرية البحيرة ، ولما قتل السلطان خليل ، وتولى الملك بعده أخوه الناصر ، اتفق الأمراء على أن يكون نائب السلطنة الأمير كتبغا ، ووزيرها الشجاعى ، وكان الملك صغير السن ، ونائب السلطنة كتبغا رجلا ديناً طيب القلب ، فانتهز الشجاعى هذه الفرصة واستبد بالأمر « وكان موكبه يضاهى موكب السلطان من التجمل .

الوسمة أو النار :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ، والجوت لا يلهيه شىء يطعمه ، يصبح ظمآن وفى الماء فمه ، وشهوة الشر لا تشبع وإن شبعت شهوة الخير ، فلم يكتف الشجاعى بما وصل إليه ، وأخذ يعمل على استئصال جميع معارضيه ، والانفراد بالحكم وحده فدبر مع بعض الأمراء مؤامرة لقتل جميع الأمراء والعلماء والقادة والعظماء ، ووعدهم بأن من قتل أميراً أو عظيماً فله جميع تركته ، وأخذ ينفق من خزانة الدولة فى سبيل هذا المأرب ، حتى بلغ ما أنفقه فى يوم واحد ثمانين ألف دينار ، وعين لتحقيق الغرض يوما معلوماً وأوصى بالكتم حتى يؤخذ الخصوم على غرة .

وتحذيره :

كان من بين من أغراهم الشجاعى ومناهم سيف الدين قنقم التترى ، فأخذته العصبية الجنسية للأمير كتبغا لأنه كان تترى الجنس ، وحذره وأطلعه على كل شىء ، فجمع كتبغا أمراء الدولة وعظماءها وبعد أن تحققوا من صدق الرواية ذهبوا إلى القلعة وحاصروها ليقبضوا على الشجاعى .

الرهب والشعب :

أغلق الشجاعى أبواب القلعة ، وأخرج صرر الذهب من الخزانة ، وأخذ يفرقها على البرجيه حتى انحاز إليه فريق منهم ، وظل يعد ويمنى ويرشو حتى تجمع حوله العدد الكافى . فخرج من القلعة وهاجم كتبغا وأصحابه فهزمهم وفروا إلى بلبيس . ورأى الشعب ذلك فثارت ثائرته وتدخل فى الأمر ضد الشجاعى الظالم وهجم الأهالى هجمة رجل واحد حتى أدخلوا الشجاعى ومن معه قلعة الجبل وحاصروهم وقطعوا عنهم الماء ، فعاد كتبغا ومن معه وانضموا للشعب ، ودام الحصار « إلى أن طلعت الست خوند والدة السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى أعلى السور وكلمهم بأن قالت لهم ! إيش هو غرضكم حتى إنا نفعله لكم ؟ فقالوا ما لنا غرض إلا مسك الشجاعى وإخماد الفتنة » فأمرت بإغلاق باب منزل الشجاعى عليه وكان داخل القلعة ، فأصبح فى حصارين أحدهما خارج الأسوار ، والثانى داخل القلعة . ولما رأى أصحابه ذلك ، ولا ينحاز إلى مثله الطبع إلا كل خسيس نفس ، يكثر عند الطمع ويقل عند الفزع ، والطيور على أشكالها تقع ، أقول لما رأى أصحابه ذلك ، تفرقوا عنه وانضموا إلى أعدائه ثم انقض عليه بعضهم وقطع رأسه وأظهره للشعب من فوق سور القلعة ، فدقت البشائر وعمت الأفراح جميع البلاد .

الثأر منه ورأسى الفريقين :

علم بعض سيادى المال من المصريين كراهية الشعب للشجاعى فاستولوا على رأسه وطافوا به الأنحاء على أعلى رمح ، وتسابق المصريون فى شفاء صدورهم من رأس عدوهم ، فتهافتوا على النيل منه وغالى حامل الرأس فى تقاضى الثمن « حتى بلغت اللطمة على وجهه بالمداس نصف درهم ، والبولة عليه درهما » ولم يتعف المخدرات